احتلال بغداد و توطيد السلطة الجديدة

دخل الصدر الأعظم بغداد في ٢٤جمادي الثانية ٩٤١هـ / ٣١كانون الأول ١٥٣٤م ، وبعده بيومين دخالها السلطان سليمان وسط مظاهر الابهة والفخامة و ومن الجدير بالذكر ان السلطان لم يسمح لجيشه بدخول المدينة خوفا من عدم امكانية كبح جماههم ، وشدد على عدم الحاق الأذى بالاهالي ، فكسب رضاهم ، كما سعى الى تعزيز ولاء السكان فقام بزيارات للاماكن المقدسة ورصد الأموال له ، وامر بعض المشاريع العمرانية ومن أهمها بناء سد ترابي الوقاية كربلاء من الفيضان وتوسيع الترعة المعروفة بالحسينية لجلب المياه العذبة من الفرات اليها فامتدت في الأراضي المحيطة بها البساتين وحقول القمح ، وهرع الأعيان وشيوخ القبائل والوفود من مختلف المدن الى بغداد التقديم ولائهم للسلطان العثماني ، كما وصل بغداد الشيخ راشد أبن أمير البصرة مغامس بن مانع ، يعلن انضمام البصرة والحويزة ولورستان الي العثمانيين ، وبذلك سيطر العثمانيون على واحد من الطرق التجارية المهمة التي تربط الشرق الأقصى باور با ، كما سيطروا على الرأس الشمالي للخليج العربي•

وترتبت عليهم تيجة لذلك ، مسؤوليات دفاعية جديدة ضد البرتغاليين في منطقة الخليج العربي .فأمر السلطان باعداد الاسطول العثماني لمنازلة البرتغاليين الذين تزايد نفوذهم في البحار العربية، ثم عين حاكم ديار بكر سليمان باشا الطويل واليا على بغداد ، وابقى فيها حامية مؤلفة

من ١٠٠٠جندي مزودين بالأسلحة النارية و ١٠٠٠فارس ، وهي لها تمرينا كافية للدفاع عنها في حالة تعرضها لهجوم ايراني ، وعاد بطريق اذربيجان ، واضطر الشاه طهماسب الى طلب الصلح ، ووافق سليمان على الطلب واخلى تبريز مقابل تعهد الشاه بعدم الاعتداء•

الادارة

بعد ان سيطرت الدولة العثمانية على العراق قسمته على أربع ولايات : بغداد ، وفيها ثمانية

عشر سنجقا أو لواء اضافة الى المركز ، والموصل ، وفيها ستة سناجق، وشهرزور وفيها واحد وعشرون سنجقا بما فيها القلاع ، والبصرة ولم يكن فيا سناجق لتركيبها العشائري وتجبى ضرائبها بالالتزام . وقد حدثت فيما بعد تبدلات فرعية في هذه التقسيمات . ويرأس الجهاز الحكومي الوالي وغالبا ما يكون برتبة وزير ولوالي بغداد صلاحيات أوسع مما لولاة الولايات الأخرى ، فكان له حق تعيين بعض الموظفين ومصادرة الأموال وهو مسؤول عن الإدارة المدنية والعسكرية ، وعليه ضمان ولاء ولايته والمحافظة على أمنها وقيادة الجيش في الحملات العسكرية، ويساعد الوالي موظف يعرف باسم كتخدا (خففت فيما بعد إلى كهية) وهو يعاون الوالي في الشؤون العسكرية والسياسية وينوب عنه عند غيابه أما الدفتردار فهو المسئول عن الأحوال المالية بتسجيل ايراداتها ومصروفاتها في سجل خاص – ويلي الوالي في المكانة الأجتماعية القاضي، فهو مسؤول عن تطبيق العدل والاهتمام بالمسائل الشرعية والاشراف على جمع الضرائب ومراقبة الأسواق ، وغالبا ما تكلفة الحكومة المركزية بمراقبة سلوك الوالي.
ويساعد القاضي في تنفيذ اوامره موظفان ، يلقب الأول ب (صوبائي) وهي رتبة عسكرية– وهو بمثابة رئيس للشرطة في وقت السلم وقائد فرقة في وقت الحرب . والثاني يعرف باسم) احتساب اغاسي) – أي المحتسب ، وواجبه معاونة الصو باشي والاشراف على تنفيذ الا امر ومراقبة الأسواق ، وبالاضافة الى هذه المناصب هنالك : أغا الانكشارية وهو قائد الحامية، و)المكتوبجي) – كاتب الرسائل و (مهردار) حامل الاختام و (خزنة دار) أمين الصندوق و) احتشامات آغاسي) – رئيس التشريفات ، و (روزنامة جي) – كاتب الوقائع اليومية ، وغيرهم من الموظفين الاقل مرتبة.

توطيد السلطة

وكانت كبرى المشكلات التي واجهت الحكم العثماني للع ارق في ولايتي شهرزور والبصرة.

فالأولى في منطقة الجبال على الحدود مع الدولة الصفوية ، ولهذا تعرض الحكم العثماني فيها الى الاخطار باستمرار . أما البصرة ، فهي تقع في منطقة قبائل شديدة المراس، وكانت دائما هاتنازع سلطات بغداد . وقد أبدى العثمانيون مرونة مع الأسر المحلية المتنفذة التي أعلنت ولاء .ومنها اسرة الشيخ راشد بن مغامس التي كانت تحكم البصرة واقرها السلطان سليمان القانوني في حكمها ، كما مر بنا ، ولكن اجراءات العثمانيين في تثبيت سلطانهم على منطقة البصرة والتحكم بشبكة الطرق التجارية ، دفعت اسرة ارشد الى الثورة ، فكانت هذه الثورة من جهة ، ورغبة العثمانيين في السيطرة الفعلية على أرس الخليج العربي ، من جهة اخرى ، سبب قيام الحملة العثمانية الكبيرة التي وجهت الى البصرة بقيادة والي بغداد اياس باشا في ١٥٤٦م ،وسعي القائد العثماني في خلال تقدمه الى اخضاع القبائل المنتشرة بين بغداد والبصرة ونجح في الحاق الهزيمة بشيخ مشايخ ال قشعم الذي يلقب بشيخ العراقين(اي شيخ الكوفة والبصرة(، ثم فزم آل مغامس ودخل البصرة حيث ربطها بالحكم العثماني المباشر . و بانهيار زعامة آل قشعم ، برزت زعامة قبيلة المنتفق التي اصبح لها النفوذ فيما بعد. غير أن الاجراءات التعسفية التي اتخذها العثمانيون ادت الى ثورة تزعمها علي بن آل عليان كبير مشايخ الجزائر في ٩٥٦هـ / ١٥٤٩ م ، وكلف السلطان والي بغداد(تمرد على باشا) لاخماد الثورة، واصدر امره الى والي سيواس محمد باشا البالطجي للتقدم على رأس قوة من الانكشارية للمساعدة في العملية .وتقدمت القوات العثمانية الواسط ومنها توجهت الى المدينة (قرب القرنة) مركز آل عليانه وبعد معارك شديدة بين رجال القبائل والقوات المهاجمة، فشل العثمانيون في تحقيق نتيجة حاسمة وبسبب طبيعة المنطقة غير الموالية للحروب النظامية ، وامام بسالة المقاومة ، وجد التقاليد العثماني «تمرد على باشا ، همه مجبرا على الانسحاب ، وكلفه فشله منصبه ، حيث (*)تشمل الجرائر منطقة المستنقعات ما بين الكوفة و واسط في الشمال والبصرة في الجنوب و فيها حوالي ثلاثمائة جزيرة صغيرة بنيت بعضها القلاع.

صدر الأمر بعزله وتعيين محمد البالطجي باشا لمنصب والي بغداد ، ولكن الدواة ، ظرا لأهمية جنوب العراق . ولا سيما البصرة من الناحيتين الستراتيجية والتجارية ، وخوفا من استغلال البرتغاليين – حلفاء الصفويين – المتربصين عند مداخل الخليج ، استمرت في سياستها الهادفة الى اخضاع القبائل واتباع سياسة قمعية شديدة . وقد أدى فشل الأسطول العثماني في صراع مع البرتغاليين (١٥٥٣ – ١٥٥١م) ، الى اضعاف هيبة العثمانيين في المنطقة ، فاستغلت القبائل العربية ذلك لمعاودة الثورة واستطاع آل عليان في ٣551م ، صد حملة عثمانية وقتل عدد من أفرادها . وتزايدت جرأة القبائل واخذت تهاجم الحامية العثمانية في البصرة بشكل متواصل ، واشتدت ثورة آل عليان خطورة في عام 904 – 975هـ / ٦51 – 7٦٦51م ، فنظمت الدولة حملة كبرى في 7٦51م ، اشتركت فيها حاميتا شهرزور والموصل كما أرسلت حوالي 450سفينة مزودة بمئتي مدفع عن طريق بيرهجك عبر الفرات ، وانيطت قيادة الحملة بوالي بغداد اسكندر باشا ، واستطاع العثمانيون تحقيق بعض النجاح، ولكن رجال القبائل واصلوا المقاومة باسلوب حرب العصابات وكبادوا القوات العثمانية خسائر كبيرة ، فلم يكن من اسكندر باشا الا ان واصل ضغطه وامر ببناء بعض القلاع في المناطق الستراتيجية لتعزيز الوجود العسكري ، ولكنه فشل في اح ارز ناصر حاسم على رجال القبائل و فأمر بقطع اشجار النخيل وإتلاف المحاولات التي تعيش عليها القبائل ، مما اضطر علي بن عليان الى طلب الصلح لقاء دفع ضريبة الى خزينة البصرة و تسليم أحد أولاده رهينة لدى السلطان . ولكن الأمن لم يستقر ، وظلت الادارة مضطربة ، وقلت واردات الولاية حتى اصبحت لا تكفي لسد نفقاتها ، فأضطر الوالي علي باشا الى تسليم امور الولاية الى كانب الجند افراسياب بن أحمد سنة ١٥٩٦ / ١٥٠٠م ، لقاء دفع ثمانية أكياس رومية (حوالي ٤٠٠٠٠قرش (على ان تستمر الولاية مرتبطة بالدولة العثمانية وتدفع الجزاية السنوية للخزينة المركزية . وبذلك تشكلت

امارة لاتدين للدولة الا بولاء اسمي الى ان زالت في ١٦٦٨م ، اثر الحملة العثمانية التي قادها والى بغداد قرة مصطفى لانهاء استقلالها ، وقد خلفت إمارة آل افراسياب في خلال حكمها للبصرة درجة من الرخاء والاستقرار والرفاه يفوق حال مدن الع ارق الخرى.

سادت الع ارق حقبة من الاستق ارر دامت ق اربة نصف قرن، تخللها عدد من الاضط اربات في منطقة البصرة نتيجة الثورات القبلية . وقد ادرك سلمان القانوني اهمية العراق وان ضياعه يعنيتجدد الاطماع الايرانية فعمل على التمسك به ، وجند في سبيل ذلك امكانات مالية وعسكريةكبيرة تخديا لايران واصرارا على الوقوف أمام أطماعها ، واصبحت السياسة العثمانية في عهد قوة الدولة تقوم على الحفال على العراق وعدم التساهل في التنازل عن أي جزء منه . واختار العثمانيون لولاية الع ارق رجالا امتازوا بالج أرة والبسالة جاءوا الى الع ارق وو ارءهم أمجاد عريضة في سوح المعارك ، وكان لدى قسم منهم كفاءة ادارية ، فنشطوا في تأمين النظام داخل المدن ،

وفي قتال القبائل البدوية خارجها ، وسد تدخلات الصفويين عبر الحدود . وشيد بعض اولئك الولاة في بغداد عددا من الجوامع والمدارس من ابرزها جامع المرادية الذي شيده والي بغداد مراد باشا كما عمر والي بغداد سنان باشا جغال زاده جامع الصاغة أو جامع الخفافين ، وأعاد بناء التكية المولوية (التي عرفت فيما بعد باسم جامع الأصفية) ، كما بني خانا ملاصقا للمدرسة المستنصرية مما دل على ازدهار الحالة الاقتصادية . وبني حسن باشا الصوقلي جامع الوزير في بغداد، وهو اول جامع يشيد بالحجر الذي جلب من الموصل عن طريق نهر دجلة ، و احيا اجزاء من الأراضي الزراعية ، كما وسع الخندق المحيط بسور المدينة و شيد سوقا وخانا ونشطت الحياة التجارية نشاطا ملحوظا في هذه الحقبة ، واصبحت بغداد مركزا تجاريا مهما. فقد زارها عدد من الرحالة والتجار الأجانب ودو نوا انطباعاتهم عنها . واشار بعضهم الى مافيها من ارصفة للمراكب ، وبضائع تباع بأسعار رخيصة ، ودار لضرب النقود الذهبية

والفضية والنحاسية.

تم أخذ الوضع العام في العراق با تدهور ، وبدأت الفوضى وعدم الاستقرار بالانتشار مع مطلع القرن السابع عشر، وكثرت الحركات فاستغلها الصفويون المتربصون بالع ارق لغزوه . و ترجع هذه ؛ كاله إلى الوهن الذي دب" في أوصال الدولة العثمانية نفسها منذ أواخر القرن السادس عشر نتيجة لعوامل داخلية وخارجية متشابكة، منها: ضعف شخصيات السلاطين وتضاؤل قد ارتهم وقابلياتهم وفساد الجهاز الإداري والعسكري، و تمردات الانكشارية ، وتدخل الحريم في شؤون الدولة ، والأزمة الاقتصادية المتمثلة في هبوط قيمة العملة2)*(وتزايد قوة

(*)في الوقت الذي كانت فيه الدولية تعاني ضائقة اقتصادية في النصف الثاني من القرن السادس عشر بسبب عوامل متشابكة ، حدث تطور عمق تلك الضائقة ، فقد تدفقت الفضة

أعداء العثمانيين في اوربا ولاسيما روسيا والامبراطورية الرومانية المقدسة . فأدت هذه الحالة الى الاستهانة بهيبة الدولة في مختلف ارجاء البلاد ، وظهور حركات انفصالية في ولاياتها البعيدة ، و منها العراق حيث حاول أحمد الطويل في بغداد وابنه محمد الطويل واخوه مصطفى الطويل الاستقلال وقد رافق ذاك انقسام داخلي وهجمات ايرانية الاحتلال بغداد . الا ان اخطر هذه المحاولات كانت محاولة بكر صوباشي لانها أدت الى احتلال الصفويين لبغداد ومناطق اخرى من الع ارق في ١٦٢٣م.

حركة بكر صوباشي ١٠٣٣ - ١٠٣١هـ / ١٦٢٣-١٦٢١م والغزو الايراني للعراق

ذكرنا أن تردي الأوضاع وضعف السلطة المركزية هيا الظروف لظهور عدد من المغامرين الطامعين بالسيطرة على مقاليد الأمور في الولايات العثمانية ومن هؤلاء بكر صوباشي الذي بدأ حياته جنديا انكشاريا ، وتدرج في منصبه في بغداد حتى أصبح صو با شيا (قائدا للشرطة(وصاحب النفوذ الأول بين الانكشارية . وتمكن من أن يحيط نفسه بعدد كبير من السكبانية)

من فرق المشاة المحلية رماة البنادق) و ٠٠٠١من العزب (من فرق المشاة غير النظامية التي تتقدم الجيش العثماني أثناء الهجوم) واربعة آلاف من الانكشارية . وقيل ان عدد القوات التي كانت تأتمر بأمره بلغ 000ر ١٢رجل .. و بدأ توذ بكر يلفت النظر منذ عام ١٦١٩م. فترأس بعد عامين حملة تأديبية ضد بعض القبائل في الفرات الاوسط التي هددت الأمن . ثم أقام ابنه محمد في مركز الصوباشي في بغداد ، واستغل الوالي غياب بكر عن بغداد فهاجم الرخيصة الى بلاد البحر المتوسط من العالم الجديد بواسطة المستعمرين الإسبان ، فارتبك النقد العثماني تبع لذلك وانهارت قيمة وحدته الفضية وهي الاقجة المعروفة باسم (اسبر) وقد ارتفع سعر الذهب و قل وجوده بمسبب ازدياد قيمته بالنسبة الى الفضة . ولعلاج ذلك أصدرت الدولة العثمانية وحدة نقد فضية جديدة في عام ١٦٢٠م هي البارة (وزنها ١,٠غرام) و لكنها لم تفد في معالجة التضخم النقدي . وفشلت كذلك محاولة اخرى لاصدار عملة جديدة هي القرش –بيا ستر (تعادل ٤٠بارة) في أواخر القرن السابع عشر.

13

داره و نهبها ، وحينما علم بكر بما وقع أسرع بالعودة إلى بغداد التي تحولت الى ميدان حرب بين أنصاره وأتباع الوالي . وحاصر بكر القلعة وقصفها ، فقتل والي بامداد بطلق ناري واضطر المحاصرون إلى الاستسلام.

وتسلم بكر صوباشي ححكم بغداد ، وإرسل يطلب من السلطان العثماني الانعام عليه بباشوية الولاية . ولكن الدولة علمت بتطورات الموقف ورفضت ذلك وعذته متمردا على السلطة الشرعية وعينت واليا على بغداد هو سليمان باشا والي ديار بكر . فأرسل سليمان كهيته علي اغا لتسلم المدينة. ولكن صوباشي طرده ، كما دخر القوة التي سار على رأسها الوالي الجديد ، فعينت واحدا من ابرز القادة العسكريين العثمانيين آنذاك وهو حافظ احمد باشا لقيادة الحملة الجديدة ضد بكر.

تقدم حافظ احمد على رأس جيش كبير وهزم القوة التي أرسلها بكر للتصدي له ، و احكم الحصار على بغداد . وقرر بكر وقد أرى الخطر المحدق به ، الاستعانة بالشاه عباس الصفوي)١٠٣٨ – ٩٨٩هـ./ ١٦٢٩ – ١٥٨١م) فبعث برسول إلى حسين خان حاكم لورستان ليعرض على الشاه استعداده لجعل الخطبة والسكة في بغداد باسم الشاه . بشرط ان يبقى حاكما عليها . فوافق الشاه فورا وأرسل جيشا من ٣٠, ٠٠٠رجل بقيادة صفي قلي خان حاكم همذان لاختراق العراق . وحينما وصل هذا الجيش خانقين ، أدرك حافظ أحمد حراجة الموقف ، فارسل فرما يا باسم السلطان يتضمن العفو عن بكر وتوليته بغداد ، ثم انسحب باتجاه الموصل الى ديار بكر . وبذلك حقق بكر صوباشي طموحه ، واخذه يسعي للخروج من ورطته مع الشاه فأرسل وفدا اجتمع بصفي قلي خان لتقديم الشكر إلى الشاه عباس على مساعدته و للاعلان عن استعداده لتحتل نفقات الحملة الإيرانية كافة • ولكن الشاه ، تقدم على رأس جيش جديد الاحتلال بغداد ، وشجعه على ذلك انشغال الدولة العثمانية في تلك الآونة بتمرد الانكشارية الذي أطاح السلطان عثمان الثاني و تنصيب السلطان الجديد مراد الرابع•

استعد بكر صو باشي للمقاومة، وحان مرت القوات الايرانية بغداد في ربيع الاول ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م . واستمر الحصار نحو ثلاثة اشهر عانى منه الاهالي كوارث واهوالا حتى اضطر الناس الى اكل لحوم الكلاب . وحلت النكبة حينما سلم محمد بن بكر صوباشي القلعة التي

اوكل اليه الدفاع عنها ، مدفوعا بالرغبة في الحكم تحت ظل أي سيد ، أو ليأسه من الاستمرار في الدفاع ، كما يقول بعض المؤرخين . فتدفقت قوات الشاه الى بغداد في ٥صفر ١٠٣٣ هـ / ٢٨تشرين الثاني ١٦٢٣م ، وذبح الجيش الصفوي كل من كان به سادفه من المشتبه بهم من انصار بكر ، وقبض على الآلاف . وينقل المؤرخ نظمي زادة عن أبيه الذي كان شاهد عيان لدخول الفرس بأن « من سلم من القتل لم يسلم من التعذيب » ، وقبض الشاه على بكر

، وبعد ان عذبه بوحشية أمر بقتله ، وهنه كرم ولده الخائن باغداقه الهدايا عليه ، وبعد ان أمضى الشاه عباس في بغداد والمناطق التي استولى عليها من العراق حوالي اربعة اشهر ، غادرها الى بلاده « بعدما ترك بغداد يلفها الخراب والدمار » و وعين على بغداد حاكم همدان صفي قلي خان . وهكذا انتهت حركة بكر صوباشي بخروج بغداد من ايدي العثمانيين واحتلال الصفويين لها ، وقدر للمدينة أن تعاني مجددا الوانا من الماسي والفواجع.

الفصل الثالث / العثمانون يستعيدون حكم الع ارق

محاولات العثمانيين لاستعادة العراق

كان سقوط بغداد في ايدي الصفويين أمرا في غاية الخطورة بالنسبة الى الدولة العثمانية ، وعلى الرغم من مرحلة الضعف التي كانت تمر بها آنذاك ، فانها لم تتوان عن محاولة واستعادة أنبل مدن آسيا . فارسلت عام ١٠٣٥هـ / ١٦٢٥م ، حملة بقيادة الصدر الأعظم حافظ باشا فتقدم وحاصر بغداد ستة أشهر ، ولم ينجح في دخولها . فتقدم على رأس جيشه للاحتفاظ بالمدينة ، ووقعت المواجهة بين الجيشين العثماني والصفوي . ولكن طول مدة الحصار من جهة ، وما كانت تعانيه القوات العثمانية من نقص في المون والذخيرة والخيول من جهة اخرى ، دفعت بالانكشارية الى التمرد على الصدر الأعظم ، مما أجبره على الانسحاب•

ثم ارسلت الدولة العثمانية حملة ثانية بقيادة خسرو باشا في ١٦٣٠- ١٦٢٩/ ١٠٣٩م

حاصرت بغداد اربعين يوما ، انسحب بعدها خسرو إلى الموصل ، دون ان يحقق غرضة ولما ولى السلطان م ارد ال اربع نجح في القضاء على روح التسيب والفتنة في الدولة ، واعاد القانون

والانضباط واهتم باستعادة بغداد واعد حملة استعد لها استعدادا دقيقا.

حملة مراد الرابع واحتلال بغداد

تحرك السلطان على رأس قواته من اسكودار في شوال سنة 0471هـ / ٨١٦٣م ، والتحقت بالجيش خلال التقدم قوات من عدد من مدن الاناضول اضافة الى عدد كبير من القبائل العربية بقيادة (امير الصحراء) ابن ابي ريشة ، وقام رجال هذه القبائل بدور مهم في تمهيد الطريق أمام قوات السلطان وتزويدها بالمؤن ايام حصارها لبغداد . وفي منتصف تشرين الثانى ٨١٦٣م ، وصلت القوات العثمانية قرب بغداد وأقيم معسكر السلطان بالقرب من الاعظمية. وكانت بغداد تقوم على الجانب الشرقي من دجلة ، ويحيط بالمدينة سور لوله ثلاثة أميال مبني بالآجر ويكتنفسه خندق عرضه ستون ذ ارعا يسده نهر دجلة بالمياه ، وكان قسم من السور المحيط بالجهة الشرقية من المدينة دار يا تفريما ويبلغ ارتفاعه ما بين 10إلى ٥١ذراعا. وتنتصب في الزوايا الرئيسة من السور ابراج كبيرة اقيمت فيها المدافع ، في حين تقوم ابراج أصغر تقع على مسافات قصيرة فيها عددها مائة وثمانية عشر برجا في جوانب السور المواجهة للبر و اربعين برجا تشرف على النهر ، وكان بين كل برج و آخر خمسون فتحة لاطلاق نيران المدافع والبنادق ، وبين كل فتحة واخرى خطوة واحدة . وفي ال ازوية الشمالية الغربية من السور تنتصب القلعة الداخلية التي يطوقها جائط مفرد يبدأ من باب المعظم الى دجلة ، ترتفع عليه ابراج صغيرة نصبت فيها المدافع ، و يحدق سورها خندق ضيق . وهذه القلعة تضم الثكنات ومخازن الذخيرة و المؤن بالاضافة الى الخزينة ، والى جوارها من جهة الجنوب يقوم السراي حيث مقر الوالى • وفي الأسوار ابواب اربعة : ثلاثة منها من جهة البر وهي :" باب المعظم في الشمال ، والباب المظلم او باب كلوادي في الجنوب ، والباب الابيض او الباب الوسطاني في الشرق . اما الباب ال اربع فهو يواجه النهر ويسمى باب الجسر ، والأخير يربط ما بين بغداد والجهة المقابلة من دجلة حيث تنتصب قلعة الطيور . كان عدد افراد الحامية الايرانية يزيد على ٣٠٠٠٠رجل معززة بالسلاح والذخيرة ، وبعد حصار دام أربعين يوما تمكنت القوات العثمانية من السيطرة على الابراج كافة . فطلب التسليم وايقاف

القتال ووافق السلطان على الطلب ، وتم الاتفاق على انهاء المقاومة وانسحاب الايرانيين من بغداد ، ولكن بعض المدافعين رفضوا الانصياع لأمر التسليم فاستمرت الاشتباكات وعمت

الفوضى وحوادث النهب والقتل، وكانت خسائر الجانبين كبيرة جدا ، وقتل معظم رجال الحامية .ولما توقفت الاشتباكات أصدر السلطان اوامره بالمحافظة على حياة السكان المدنيين وعدم التعرض لممتلكاتهم . ثم اتخذ الإجراءات لتنظيم ادارة بغداد ، فعين كجك حسن أغا الانكشارية واليا كما ترك حامية من ٨٠٠٠انكشاري بقيادة بكتاش أغا وأمر الصدر الأعظم باعادة بناء الأسوار والاستحكامات . ثم غادر بغداد عائدا الى القسطنطينية.

الجنوب ، والباب الأبيض أو الباب الوسطاني في الشرق . اما الباب ال اربع فهو يواجه النهر ويسمى باب الجسر . والأخير يربط ما بين بغداد و الجهة المقابلة من دجلة حيث تنتصب قلعة الطيور . : كان عدد افراد الحامية الايرانية يزيد على ٣٠٠٠٠رجل معززة بالسلاح والذخيرة. وبعد حصار دام أربعين يوما تمكنت القوات العثمانية من السيطرة على الابراج كافة . فطلب التسليم وايقاف القتال ووافق السلطان على الطلب ، وتم الاتفاق على انهاء المقاومة وانسحاب الايرانيين من بغداد . ولكن بعض المدافعين رفضوا الانصياع لأمر التسليم فاستمرت الاشتباكات وعمت الفوضى وحوادث النهب والقتل، وكانت خسائر الجانبين كبيرة جدا ، وقتل معظم رجال الحامية . ولما توقفت الاشتباكات اصدر السلطان اوامره بالمحافظة على حياة السكان المدنيين وعدم التعرض لممتلكاتهم . ثم اتخذ الاجراءات لتنظيم ادارة بغداد ، فعين كجك حسن أغا الانكشارية واليا كما ترك حامية من ٨٠٠٠انكشاري بقيادة بكتاش أغا وامر الصدر الأعظم باعادة بناء الأسوار والاستحكامات . ثم غادر بغداد عائدا إلى القسطنطينية. .

تثبيت حدود العراق الشرقية

وامضى الصدر الأعظم مصطفى باشا قرابة الشهرين في بغداد أهتم خلالها باعادة بناء

التحصينات ، وبناء ماتهدم من المنازل والاسواق ، وأعادة زرع البساتين . وقرر تأمين بغداد من الشرق ، فتحرك على أرس قواته متجها شرقا ، ثم وصل اليه مبعوث من الشاه طالبا انهاء العداوات . و وافق الصدر الأعظم على العرض و ارسل رسالة إلى الشاه طالبا منه أن يرسل شخصا مخولا بصلاحية مطلقة لتحقيق شروط السلام بين الدولتين . وعين الشاه مبعوثا لهذه الغاية وجرت المفاوضات بين الجانبين في زهاب ، وفي ١٤محرم ١٠٤٩هـ / ١٧مايس ١٦٣٩م ، تم التوصل إلى معاهدة لتحديد الحدود ، وتعد هذه المعاهدة اكمل المعاهدات التي

عقدت بين الجانبين العثماني والايراني حتى ذلك الوقت ،وقد ظلت تلك الحدود ، على الرغم من عدم دقة رسمها ، ثابتة تقريبا ، لأكثر من قرنين من الزمن. وشكلت معاهدة زهاب هذه ، نقطة الارتكاز حتى منتصف القرن التاسع عشر، عندما قامت لجان مشتركة على رسم الحدود، ومما جاء في تلك المعاهدة أن تظل ضمن ولاية بغداد جصان وبدرة ومندلى و در تنك ودرنة والسهول الواقعة بين مندلي و در تنك . كما تبقى اجزاء من هارونية التي تقطن فيها قبائل الجاف وضياء الدين ضمن حدود الولاية وتهدم قلعة زنجير ، والقرى الواقعة غربها تابعة للسلطان ، اما القرى الواقعة شرقها فتابعة للشاه . وخط الحدود في شهرزور هو الشعب المؤدي اليها . وتظل تابعة للسلطان قلعة قزلجة مع توابعها . ويتعهد الشاه بعدم التحرش والتعرض لقلاع اخسخة وقارص و شهرزور وبغداد والبصرة والمناطق الواقعة ضمن الحدود ، وبعدم تشجيع حركات التمرد ضمن هذه الأماكن•

الأحوال العامة

سببت سنوات الاحتلال الصفوي وحروب الاسترداد العثمانية الكثير من الدمار والخ ارب في بغداد . وقد تميز تاريخ ولاية بغداد حتى اوائل القرن الثامن عشر بالاضط ارب وكثرة تغيير الولاة

، اذ حكم في الحقبة ١٠٤٩هـ ١٦٣٩م / ١١١٦هـ – ١٧٠٤م تسعة وثلاثون واليا ، لم يترك واحد منهم عند عزله او نقله أثرا يذكر باستثناء اربعة قام احدهم بباء ثلاثة أبراج لسور بغداد وجامع الأزبك ، وبني الثاني جامع الخاصكي ، وقام الثالث بتطهير نهر الدجيل ، اما الرابع فبنى مدرسة قرب جامع القمرية. وقد ساعدت سرعة تغيير الولاة على خلق حالة عدم الاستقرار .

ومن المظاهر الاخرى لهذا المعهد، كثرة تمردات الانكشارية، واضط ارب حالة الأمن خارج اسوار المدن وادي ذلك إلى نتائج اقتصادية سيئة في الزراعة والتجارة . ورافق ذلك كثرة الأوبئة والفياضانات والقحط التي اسهمت في تعطيل الفعاليات البشرية . وبلغ التدهور الاقتصادي درجة بحيث أن علي باشا والي بغداد سنة ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م أرسل في طلب ٤٠٠كيس اقجة لدفع رواتب الجند المحليين بسبب عجز خزينة الولاية . وذكر الرحالة تافرنييه بغداد في منتصف القرن السابع عشر أن عدد جوامع بغداد عندما ازرها كانت خمسة ، اثنان منها حسنا

العمارة ، وانه كانت فيها عشرة خانات كلها غير عامرة الا اثنين منها كانا أحسن من سائرها) والمدينة من حيث الحكم العام غير عامرة خالية من مظاهر الجمال عدا الأسواق المسقفة(..

اما ولاية البصرة ، فقد انتهى حكم اسرة افراسياب في ١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م اثر حملة قادها والي بغداد قرة مصطفى وهرب على اثرها آخر امرائها حسين افراسياب، و بذلك ربطت الولاية بشكل مباشر بالدولة. ولكن الولاية كانت اوضاعها غير مستقرة وعانت موجات من الفوضى والاضطراب سبيتها ثورات العشائر . وقد تمكن مانع بن مغامس شيخ قبائل المتنفق من السيطرة على البصرة عام ١١٠٦هـ /١٦٩٤م ولم يتمكن والي بغداد من استعادتها.

واعقب ذلك دخول حاكم الحويزة بالمدينة وضمها الى ممتلكاته عندما اعيدت المدينة للسيطرة العثمانية اثر حملة قام بها والي بغداد ، بعد ان تقوى بنجدات عثمانية ارسلت الى الع ارق.

اما ولاية الموصل فقد استطاع الشاه عباس أثر احتلاله لبغداد في ١٦٢٣م من غزوها ومد سلطانه الى كركوك ، ولكن الاحتلال الصفوي للمدينة لم يدم طويلا ، اذ تمكنت قوة عثمانية صغيرة يقودها كوجك احمد باشا من طرد الحاكم الصفوي قاسم خان ، كما طردت القوات الصفوية من كركوك في ماس ١٦٢٥م ، وبصورة عامة ، كانت احوال ولاية الموصل أكثر استق ار ار من اوضاع الولايات الع ارقية الأخرى ، وقد ساعد ذلك على نشاط الحركة التجارية والحرفية فيها بحيث فاقت مدن الع ارق الاخرى.